

# **العنف في المدرسة وعلاقته بجنوح الأحداث في المغرب**

## **”دراسة ميدانية“**

أحمد معد\*

# العنف في المدرسة وعلاقته بجنوح الأحداث في المغرب

## ”دراسة ميدانية“

المعهد للمدرسة من تطبيقية، وإيديولوجية وإنتاجية وهي تتلون ببعض خصائص الوسط من حيث هو قروي أو شبه حضري، لارتباطها بمؤسسات متعددة أخرى وبمستويات في المدرسة ذاتها [3]. إنها البنية الاجتماعية الثانية بعد الأسرة ودورها يتحدد في تكوين التلاميذ لتشكيل شخصية الطفل وفي إكسابه أنماط السلوك المتوافقة مع المعايير السلوكية التي يقرها المجتمع.

وعلى هذا الأساس فالمجتمع بحاجة إلى مجموعة من الدراسات العلمية للوصول إلى خلاصات ونتائج علمية حول هذه الظاهرة عبر معرفة عناصرها وتشخيص جوانبها، ودراسة تجلياتها.

وبهذا المعنى فإن موضوع الدراسة الحالية يتمحور حول دور العنف في جنوح الأحداث، من خلال مقارنة سيكوسوسيولوجية منفتحة تتوخى من خلالها رصد مدى إمكانية تأثير العنف في لجوء الحدث إلى الانحراف ومنه إلى الجنوح، لأن الطفل في هذه المرحلة يكون أكثر هشاشة من حيث البنية النفسية وأكثر تأثراً بمظاهر العنف في المدرسة.

### 2. مشكلة الدراسة

تتمحور الدراسة حول دراسة الإشكالية المتعلقة بمدى مساهمة العنف في المدرسة في تشكيل محددات السلوك الجانح، وذلك من خلال المحاولة على الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما علاقة العنف في المدرسة بجنوح الأحداث؟
- ما هي أشكال العنف التي تعرض لها الأحداث في المدرسة؟
- كيف يؤثر العنف في المدرسة على الأحداث في الدفع بهم إلى الجنوح؟

#### أ. فرضيات الدراسة

توجد علاقة بين العنف في المدرسة وجنوح الأحداث.

1- توجد أشكال للعنف يتعرض لها الأحداث في المدرسة.

**الملخص** - هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين العنف في المدرسة وجنوح الأحداث، لدى عينة من النزلاء بأحد مراكز حماية الطفولة بالمغرب، وقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي لوصف وتحليل مختلف تجليات العنف في المدرسة وعلاقته بالجنوح.

تكونت عينة الدراسة من عشرين نزلياً بالمركز الإصلاحية، وتم اعتماد دراسة الحالة، تم من خلالها إجراء مجموعة مقابلات، وجمع مختلف المعطيات المتعلقة بحياة الأحداث الجانحين على المستوى الشخصي والعائلي والعائلي، بالإضافة إلى تتبع ملفات الموجودة بالمركز الإصلاحية. وقد أشارت أهم النتائج إلى: وجود علاقة بين العنف في المدرسة وجنوح الأحداث، تعرض الأحداث الجانحين سابقاً في المدرسة إلى للعنف النفسي والجسدي بشكل ملفت للانتباه، للعنف في المدرسة انعكاسات سلبية كثيرة جسدية ونفسية وذهنية على ضحاياها.

**الكلمات المفتاحية:** العنف المدرسي، الحدث الجانح، الجنوح، المدرسة.

### 1. المقدمة

تعتبر مشكلة الجنوح من أكبر المشاكل التي تعاني منها المجتمعات المعاصرة حالياً خصوصاً جنوح الأحداث الصغار، ويزداد تفاقم هذه المشكلة بسبب انشغال الآباء والأمهات وانصرافهم عن توجيه الرعاية الأبوية والإشراف الأمني الدقيق. فقضية جنوح الأطفال تتطوي في جوانب كثيرة على عناصر سلبية تهدد النظام الاجتماعي العام في الصميم [1].

وقد نتج عن هذه الظاهرة العديد من الأبحاث والدراسات التي خلص عنها العديد من المخططات التربوية والتأهيلية والعلاجية. إلا أن المسألة تستمر في التفاقم بشكل كبير وملف للانتباه ذلك أنها ليست أمراً معزولاً عن تحمل الأوضاع النفسية والاجتماعية والثقافية في المجتمع [2].

وتتمثل المدرسة مؤسسة للتنشئة على مستوى الوظائف

### 3. الإطار النظري والدراسات السابقة

#### المدرسة من منظور الاتجاه النقدي الفرنسي:

تقوم المدرسة بدور بتربية الأفراد بهدف إدماجهم ويؤكد عالم الاجتماع دوركايم أن "التربية تستحضر جيلاً من الكبار يمارس نشاطه على جيل من الصغار من أجل إحداث التغيير فيهم وإدماجهم في المجتمع" [6]. إلا أن إدماجهم في المجتمع لا يعني التمييز بينهم، حسب رواد الاتجاه النقدي.

ويعتبر إلفان إيتش [7] من الباحثين الذين نظّموا المدرسة ببنية عالية وبجراً وفحص نقدي رفيع المستوى، فهو عندما يحاول الإجابة عن السؤال: إلى ماذا نشير عندما نتحدث عن المدرسة؟ فإنه يتحدث عن هذه الأخيرة باعتبارها مكان يجمع الأطفال، ويتم تقسيمهم حسب العمر، ثم يفرض عليهم الحضور والخضوع للمعلمين طوال سنوات متعددة، ولبرامج ومقررات يصفها إيتش بالمبتعدة عن العمل المنتج.

ويعتبر كتابه ذائع الصيت "مجتمع بلا مدرسة Une société sans école" [7] من أهم ما أنتج في سوسيولوجيا المدرسة فهو يرى "أن المدرسة اليوم لا ينبغي الاعتماد عليها في مهمة التعليم والتثقيف، لأنها مؤسسة تخدم مصالح الطبقة الأرستقراطية في المجتمع، وبدلاً من المدرسة يقترح قنوات أخرى تقوم مقامها.

ويذهب إيتش إلى أبعد من ذلك فيعتبر المناهج المدرسية بمثابة البضاعة التي تقتصر على إعطاء المتعلمين الآليات المعرفية الضرورية لعملية الاستهلاك "خدمة لأغنياء هذا العالم" بل يرى إيتش أنه في نموذج العلاقات القائمة بين المعلم والتلميذ ليس هناك أي ضمانات لاحترام الحرية الفردية، وضمن الصفوف المدرسة يعيش التلاميذ في "جو خانق" ... وفي عزلة مطلقة عن الحقيقة اليومية للثقافة الغربية [8].

يتناغم موقف "بيير بورديو" مع موقف "إلفان إيتش" في النظرة النقدية تجاه المدرسة، بحيث يشكل هو الآخر أحد أقطاب سوسيولوجيا المدرسة، فقد أكد هو الآخر على أن إعادة الإنتاج واللامساواة في الفرص داخل المدرسة يتبعه عنف رمزي [9].

2- يؤثر العنف في المدرسة على الأحداث في الدفع بهم إلى الجنوح.

#### ب. أهداف الدراسة

- تحاول هذه الدراسة وصف وتحليل وتفسير ومناقشة العنف المدرسي وعلاقته بالجنوح وذلك بالاعتماد على الدراسة الميدانية لعينة من الأحداث الجانحين، هذه الدراسة التي من المفترض أن تمكننا من التعرف على أشكال العنف المدرسي التي تعرض لها الحدث الجانح وآثار وانعكاسات ذلك العنف على شخصيته في الدفع به إلى الجنوح.

#### ج. التعريفات الإجرائية

**العنف المدرسي** [4]: بشكل عام هو اللجوء لإكراه الآخرين بالقوة لإخضاعهم والسيطرة عليهم دون إرادتهم، و يمكن النظر إلى العنف المدرسي من زاويتين:

- الأولى نراه من خلالها كعقاب تربوي يستعمل وسيلة تربوية تعزيزية لتدعيم الاستجابات المرغوب فيها لدى الفرد.

- والثانية ننظر إلى العنف التربوي باعتباره عدواناً مبالغاً فيه من قبل المدرس على الطفل مما يحدث عليه أثراً نفسية بليغة.

#### التحديد الإجرائي لمفهوم العنف:

يقصد بالعنف في هذه الدراسة ذلك العنف الذي تعرض له الأحداث في المدرسة قبل أن يجنحوا، من قبل المدرسين أو باقي الفاعلين التربويين في المدرسة أو من قبل الأحداث فيما بينهم، وهذا العنف اتخذ أحد شكلين: الجسدي، النفسي.

**الحدث الجانح:** هو ذلك النزول المعاقب بعدما ارتكب فعلاً مخالفاً لقيم المجتمع ومبادئه والتي يعاقب القانون على خرقها؛ أي ذلك النزول بالمؤسسة الإصلاحية والذي نفترض فيه مسبقاً أنه ضحية للعنف الذي عاش تجربته المريرة في المدرسة.

الجنوح: كل سلوك معاقب عليه قانونياً وهو: "السلوك الخارج عن الأنماط السلوكية التي يحددها كل مجتمع لنفسه، وهذه الأنماط هي التي تشكل حالة توازن وفي نفس الوقت حالة تجانس كما يشير لفظ الانحراف أيضاً إلى كل ما يخرج عن نسق أنماط السلوك أو عن عوامل التوازن" [5].

المنظور السوسبيولوجي:

تناول عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم، والممثل الرئيس للاتجاه البنوي في علم الاجتماع مجموعة من الظواهر الاجتماعية بالبحث، والتحليل، والمساءلة، وإن أبرز ما ميزه في هذا السياق هو تحليله لظاهرة الانحراف الاجتماعي وعلاقته بالتلاحم وبالاندماج الاجتماعيين، وذلك في دراسته الشهيرة للانتحار "Luicide" الذي أرجعه إلى المرض الاجتماعي.

وإن أبرزها ما ميزه أيضا هو تحليله وفهمه لطبيعة السلوك الإنساني الذي يحتاج إلى تحليل البنيات الاجتماعية التي تحتويه، وهكذا فالعلاقات الاجتماعية وأنماط السلوك والتصرفات الفردية والجماعية، وخاصة الجريمة والتصرفات الفردية والجماعية، أو السلوك غير النمطي بشكل عام ليس في حاجة إلى مفاهيم نفسية أو فلسفية لمقاربتها، وعليه فدوركايم يشكك في القدرات العلمية لعلم النفس [14].

نظرية هوتون Hooton:

ويؤكد هوتون في كتابه "المجرم الأميركي" على أهمية الخصائص العضوية في إحداث السلوك الإجرامي، حيث قام بدراسة ما يناهز أربع عشر ألف من المجرمين، كما قام بدراسة مجموعة أخرى من غير المجرمين تناهز ربع هؤلاء من بين طلبة الجامعات، ورجال الشرطة، ونزلاء المستشفيات، فانتهى إلى تأييد نظرية لمبروز [15]، والتي تقول بالعامل العضوي كمفسر لظاهرة الجنوح. وعلى هذا المنوال استنتج هوتون من خلال دراسته أن التركيب العضوي للمجرم يختلف باختلاف نوعية الجرائم المرتكبة [15].

نظرية التحليل النفسي [16]:

يتزعم هذا التوجه العالم النمساوي "سيجموند فرويد" والذي حقق ثورة زعزعت نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى من يحيط به، وفي هذا الصدد يقول فرويد بنزوتين توجهاً الكائن الحي وهما نزوة الحياة، ونزوة الموت.

فأما نزوة الحياة فهي المسؤولة عن كل علاقة عاطفية متعاطفة، وهي المسؤولة عن التقارب والتوحيد والتجميع. وأما

هذا العنف الرمزي ألف فيه كتابا، يقول فيه العبارة الشهيرة التي رددت في كتاب "معاودة الإنتاج وهي: "إن أي نشاط تربوي هو موضوعيا نوع من العنف الرمزي وذلك بوصفه فرضاً تعسفياً من قبل جهة متعسفة" [11].

ويعتبر هذا القول ثقيلاً على البنية التربوية، خصوصاً وأنها محطة كبرى في المسار الدراسي، بل وتحمل أعلى مرتبة فيه، إذ فيها يقرر مصير الأمة ومستقبل الأجيال، حيث ترصد الحاجات وتحلل وتترجم إلى غايات كبرى [12].

ظاهرة جنوح الأحداث

المنظور الفلسفي

لقد تباينت آراء الفلاسفة وزوايا نظرهم للعنف، حيث يرى طوماس هوبز، أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، وأن وجود سلطة تحتكر ممارسة العنف هو وحده القادر على كبح غرائزه العدوانية وإقرار السلم والنظام الاجتماعيين، ويرى كارل ماركس أن تاريخ البشرية هو تاريخ صراع وعنف بين الطبقات، أما داروين فقد جعل من الصراع من أجل البقاء القانون الأساسي للحياة وللتطور، ومن الانتقاء الطبيعي على أساس القوة والقدرة على التكيف عبر مقولة البقاء للأقوى [13].

المنظور البيولوجي

بالعودة مع هذا المنظور إلى سنة 1945 مع "دي توليو" الذي جاء بنظرية تسمى التكوين الإجرامي أو الاستعداد المسبق للجريمة ويتمثل في الميل إلى العنف والكسل والشذوذ في غريزة القتال والدفاع، كما يرى "لمبروزو" أن الجريمة ترجع إلى تشنجات عصبية تدفع إلى ارتكاب أفعال عنيفة وانتهى إلى أن المجرم هو مجرم بالفطرة.

وهكذا يفسر العنف بالرجوع إلى الخلل الجيني، خصوصاً بعد توالي الأبحاث التي تؤكد وجود مورثات جينية تسبب العنف عبر إفرازات هرمونية محددة بيولوجياً.

وتجدر الإشارة إلى أن عالمة الأميركية (كيت ماكيرتيت)، ترى أن السلوك العدواني يرتبط بوجود مستوى منخفض بهرمون التوتر المسمى "كورتيزول" في اللعاب.

## 4. الطريقة والإجراءات

## أ. منهج الدراسة

يختزل موضوع العنف في المدرسة وعلاقته بجنوح الأحداث ظواهر اجتماعية خطيرة من حيث تجلياتها ومن حيث صعوبة البحث على حقيقتها، "فالعلوم الإنسانية (سيكولوجيا- سوسولوجيا- تربية... ) تتعامل مع ظاهرة زبئية غير ذاتية، كما أن هذه الظواهر تتحكم في عدة متغيرات تتسم بالدينامية وتعدد الأبعاد خلافاً للظواهر الطبيعية والفيزيائية التي تكون متغيراتها محدودة الأبعاد" [18].

ويزداد الأمر تعقيداً حينما يتم افتراض العنف في المدرسة كمتغير مؤسس لجنوح الأحداث مما يفرض اتباع منهج محكم منهج يصف الوصف الدقيق للظاهرة، ويحللها؛ مما جعلنا نعلم المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لوصف ظاهرة العنف في المدرسة وتحليلها ومناقشتها في ضوء علاقتها بجنوح الأحداث.

## ب. أداة الدراسة

تتأسس أداة البحث علمياً ومنهجياً بحيث تفرضها طبيعة الموضوع كما يفرضها المنهج المتبع، وإذا كان الأمر يتعلق بالوصف والتحليل للظاهرة مع انعكاساتها وآثارها النفسية التي تكون أحياناً غير مباشرة، فقد تم الاعتماد على أداة المقابلة لكونها تساعد الباحث في تكوين صورة كاملة وسريعة عن شخصية عينة الدراسة [19] ويتحدد وجودها العلمي بشروط من قبيل تحديد العينة وتحديث وتبهيئ الأسئلة التي ستوجه للمبحوث، وتحديد موعد المقابلة قبل القيام بها، كما يراعى عند اختيار الموعد مناسبة الوقت مع شرح الغرض من المقابلة للمبحوث [20].

## ج. مجتمع الدراسة

يتمثل في الأحداث الجانحين وهم بالتحديد نزلء مركز حماية الطفولة في مكناس بالمغرب الذين تم إيداعهم بهذه المؤسسة بعد ارتكابهم لأفعال مخالفة للقانون والذين يقدر عددهم 60 جانحا.

## د. عينة الدراسة

نزوة الموت فهي التي تهدف إلى التدمير وإلى تفكيك الكائن الحي، وإذا توجهت إلى الخارج فإنها تأخذ أشكال العدوانية والتدمير والعنف والحقد.

ويفسر التحليل النفسي الجنوح بشكل عام، بالرجوع إما إلى عجز الأنا عن تكيف ميول ونزاعات الذات مع متطلبات القيم والتقاليد الاجتماعية، أو عن تصعيد النشاط الغريزي، أو عن قمعته وكتبته في اللاشعور، أو لغياب الأنا العليا أو لعجزها عن أداء وظيفتها في الرقابة والمساعدة [15].

نظرية صراع الثقافات:

تقسم هذه النظرية الصراع إلى داخلي وخارجي [15]:

فالصراع الداخلي يختلف باختلاف الاتجاهات والقيم الاجتماعية داخل المجتمع الواحد تبعاً لاختلاف العادات والتقاليد والأنماط الثقافية. والصراع الخارجي يتمثل في التصادم بين اتجاهات ثقافية مختلفة، وأساليب السلوك الداخلية المرتبطة بثقافتها الخاصة، ويكون التصادم بين ثقافتين بشتى الوسائل كالاستعمار، الحدود، الهجرة، ويجب ألا ننسى بأن الاستعمار له دلالة ثقافية ورمزية أكثر مما لديه دلالة مادية عسكرية.

والاختلاف المؤدى للتصادم والصراع يتحدث عنه أبرز المنظرين في نظرية صراع الثقافات في وقتنا الحالي وهو الأميركي "سامويل هنتغتون"، إذ يؤكد على أن "المبادئ الفلسفية، والقيم الإنسانية، والعلاقات الاجتماعية، والأعراف وطريقة النظر إلى الحياة بشكل عام تختلف واقعياً من حضارة لأخرى [17].

نظرية الاختلاط الفارقي:

يؤكد سدرلا ند باعتباره المنظر لهذه النظرية على أن السلوك الإجرامي يرجع إلى العوامل المؤثرة في الفرد التي تدفعها إلى ذلك السلوك، حيث يعتبر أن السلوك الإجرامي سلوك مكتسب ناتج عن التأثير بعوامل مختلفة ناتجة عن الاختلاط بجماعات مختلفة، وبهذا المعنى يرى أن السلوك الإجرامي يخضع لسيرورة التعليم [15].

2. التعامل مع التلاميذ بشكل جيد.

وقد قال: "كون كنت أستاذ كون نتعامل مع الدراري بحال صاحبهم"، أي: "لو كنت أستاذًا لتعاملت مع التلاميذ مثل صاحبهم".

وعن أسباب تعرضه للضرب وبالخصوص في الصف الرابع أكد للباحث أنها أسباب واهية مرتبطة بتصحيح الدفاتر بحجة "خط رديء + غياب التنظيم". مما جعله غير راض تماماً عن الذي كان يحصل.

كما وأكد أيضاً أنه عندما يكون متجهاً نحو المدرسة، وكأنه متجه قسرياً إلى سجن مظلم، حيث أنه ليس هناك شيء سوى العقاب والجلد الذي يؤكد الحدث على أنه لم يستطع أن يخلق سبباً لرفع ذلك العقاب، وما يثير الانتباه هنا هو أنه صرح بأن المدرسة التي مر بها لا يريد تذكرها إطلاقاً.

مناقشة الحالة الأولى

كما جاء سابقاً لوحظ وجود قطعة خشب مستطيلة تنهل من دم الأيدي الصغيرة عبر الضرب، ولعل هذا ما جعل الحدث يتحدث عن هذه المرحلة بالأسوأ في حياته. والأمر الأكثر تعقيداً هو آثار العنف البليغة على نفسية الحدث كما تجلى في التقرير. ويزداد الأمر تعقيداً في حالة العنف غير المبرر. وهذا ينفي صفة التربية الخلقية في الوقت الذي تستوجب فيه هذه الأخيرة بناء أسس نسق عقدي وقيمي لدى المتعلم [21]. وبهذا المعنى وبما أن الظروف الاقتصادية والسوسيوترابية للحدث ولأسرته لا تكشف عن اختلالات، فالعنف في المدرسة يظهر لحد الآن الأقرب في التعيين ليكون سبباً في الجنوح خصوصاً وأن الحالة الصحية للحدث جيدة بيولوجياً.

وهكذا يكون ارتكاب جريمة الاختطاف والاحتجاز وهناك العرض ليس وليد الصدفة، ولكنه نتاج لتراكمات خطيرة يمكن تصورها من خلال العنف الذي ولد العنف، كما تؤكد على ذلك الدراسات السوسولوجية. فقد بينت الدراسات أن الحكم التسلطي في الصف يؤدي إلى خوف التلاميذ الشديد ونفور قسم منهم ولا مبالاة القسم الآخر، الذي سرعان ما يتحول إلى مجموعة من

هم مجموعة من الأحداث المتواجدين بمركز حماية الطفولة والذين سبق لهم أن مروا بالمدرسة وتعرضوا لأشكال متعددة من العنف المدرسي ويبلغ عدد الحالات عشرون حالة إلا أنه سيتم عرض حالتين بشكل مركز ومختزل.

## 5. النتائج

الحالة الأولى

1- عمر محمد 15 سنة من أب وأم يعملان بشكل متقطع وله ستة إخوة. أما الوضعية الاقتصادية والاجتماعية فمن حيث السكن وموارد العيش فهي عادية، ومن حيث علاقاته بالأسرة فليس هناك أي توتر أو اضطراب مذكور.

ومن الناحية الصحية كان ولا يزال محمد ذو صحة جيدة، وليس له ماضي مهني عدا العمل في مجال الفلاحة أثناء العطل بشكل عادي مثل باقي الناس، الحدث حالياً متهم بالاختطاف والاحتجاز وبالعنف بهتك العرض.

أشكال العنف المدرسي التي تعرض لها الحدث

قضى محمد سنتين عاديتين في الروضة لم يتعرض فيها لعنف جسدي من قبل المدرسة لكونها كانت تكفي بتهديده، فدخل في الوقت القانوني إلى المدرسية بدأ يتدرج دروب الدراسة حتى الصف الخامس الذي انتهى بالرسوب فقط.

يعكس عن حياته الدراسية في الابتدائي بشكل عام بأنها كانت محكومة بمفاهيم قمع - سلطة وخوف، كما أكد أنه تعرض للعنف بقسوة في المدرسة وبالتحديد في القسم الرابع من طرف أحد المدرسين القساة بحسب وصفه، حيث كان يضربهم بقطعة خشب مستطيلة، وكان الضرب على اليدين غالباً، كما وأكد الحدث أن مرحلة الصف الرابع الابتدائي كانت من أسوأ ما شهده الابتدائي حيث كان الضرب هو سيد الموقف طيلة السنة.

آثار العنف المدرسي على الحدث

لقد وضح المبحوث أن من غير المعقول ومن غير المقبول أن يعتدي المدرس على التلميذ وبعد سؤاله عن الاقتراحات التي يجب على المدرسة العمل بها أكد على ما يلي:

1. إلغاء الضرب والعنف.

لكونه لا يفقه فيها شيئاً، حيث كان يمر دائماً بما يسمونه في المدرسة ب: "المشقة" بالإضافة إلى مادة الرياضيات الذي كان بسببها يعاقب بقسوة من قبل المدرسين، ناهيك عن عدائه مع أحد المدرسين الذي كان يجلده كل يوم جمعة لعدم القيام بواجباته وأهمها "حفظ القرآن" وبتهمه بالقبح. فصرح أنه مر بالعديد من المرات ب: "التحميلة"

آثار العنف المدرسي على الحدث: من خلال استدرجه في الحديث فقد لوحظ تأثير العنف الذي شهده في المدرسة بالابتدائية وخصوصاً العنف الجسدي غير المبرر الذي سببته له التلميذة، وما زاده تأثراً هو السب والشتم الذي تعرض له من قبل تلك المعلمة خصوصاً في حق أمه المتوفاة.

تفسير ومناقشة الحالة الثانية:

تتحرك نتائج التقرير حول هذه الحالة في نقطتين:

تتمثل النقطة الأولى في أشكال العنف التي تعرض لها الحدث الجانح في المدرسة قبل أن يصير جانحاً.

وتتقسم هذه النقطة إلى قسمين: فأما الأول فيتعلق بالعنف الجسدي الذي تعرض له الحدث وهو لا يزال في نعومة أظفاره، هذا العنف تمثل في الضرب بقوة. وأما الثاني فيتعلق بالعنف الناتج عن الأول ويتمثل في العنف النفسي أو الرمزي الناجم عن العنف الجسدي نفسه. وتجسده هذه الحالة العنصرية القمعية التي مورست عليه من قبل المدرسة. أي أن التلميذ آنذاك تعرض للعنف من دون مبرر وهذا تدمير خطير للتوازن النفسي. ولعل هذا واضحاً من خلال الدراسة الشهيرة لمصطفى حجازي المعنونة ب: "سيكولوجية الإنسان المهودر"، إذ يقول: "كل الوسائل في التعذيب لا يقتصر أذاها على ما تولده من آلام جسدية فقط، بل إن دلالاتها الثقافية قد تكون أصعب احتمالاً إذ تهدف إلى تحقير الضحية (التلميذ هنا) وإذلالها وتجريدها من دلالاتها الإنسانية" [24].

وهكذا يصنع من الطفل قنبلة موقوتة تحتاج إلى من يثيرها للانفجار. فقد بين (فهمي، 1998) في مؤلفه المعروف "سيكولوجية الطفولة والمراهقة" أن الطفل يشعر عند الالتحاق

المتشردين الأشقياء الذين يجدون لذتهم في إثارة الشغب بمثابة تعويض عن المحبة المفقودة [22].

وقد توضح تعقد الأمر أكثر فأكثر من خلال الآثار النفسية التي شكلتها علاقة الحدث بالمدرسة بحيث ينظر في المدرسة وكأنها سجن مظلم يغلي بالعقاب والجلد، وهذا يتنافى مع المبدأ الحقيقي الذي يجب على المدرسة القيام به والمتمثل في إمداد المتعلمين بمختلف العناصر الثقافية التي تجعلهم قادرين على استيعاب المحيط الخارجي، والتأقلم معه، بل والتأثير فيه [23] وهذا ما لم تحققه المدرسة لهذا الحدث.

الحالة الثانية

العينة: زهير عمره 16 سنة من أب له مهنة ساعاتي وأم متوفية وله أخ واحد، وعن الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للعائلة فقد وجد أن مستوى العيش جيد، حيث كان يسكن مع خالته بعد وفاة الأم، في مسكن من ثلاث طوابق مجهز بأثاث لا بأس به. وعن الوسط التربوي فبعد وفاة الأم وجد الجو التربوي الملائم والسليم لتنشئته فحظي بمعاملة طيبة حيث كان محبوباً من طرف العالة. زهير حالياً متهم بالتجارة في المخدرات والضرب والجرح.

أشكال العنف التي تعرض لها الحدث في المدرسة: توضح لنا مع حياة الحدث الدراسية أنه مورس عليه العنف الجسدي بشكل مباشر في المرحلة الابتدائية ولا سيما في الصف الثالث ابتدائي من طرف معلمة يتحدث عنها بكرهية.

يحكى الحدث أنه تعرض للضرب العنيف من طرف تلك "المعلمة" لسبب غير موضوعي في نظره، فما أثار الانتباه للأحداث التي مر بها في المدرسة أنه كانت له علاقة عداء بينه وبين تلميذة زميلته في الدراسة، هذه الأخيرة اتهمته بإحداث الضحيج في القسم في غياب المعلمة" التي كلفت التلميذة بمراقبة تحركات التلاميذ في الصف، مما سبب للحدث التعرض للضرب.

ويؤكد أيضاً أن المرحلة الابتدائية شكلت له مرحلة العذاب الأليم، خصوصاً من مدرسي اللغة الفرنسية على حد تعبيره،

إن الأمر هنا يتعلق فقط، بنمط المعاملة أما إذا تعلق الأمر بعنف مادي مكشوف وبعنف رمزي مستتج فهذا تكون المسألة أكثر خطورة وأكثر تعقيداً.

وتكون مسألة سيادة القمع والإهانة في مختلف لحظات الدراسة في مرحلة الابتدائي، والتعرض لعنف رمزي واضح اتخذ شكل توبيخ، وتفاضل، وتميز عنصري، وإهانات وتهميش؛ النقطة السوداء في التاريخ النفسي للأحداث، ويجب ألا ننسى بأن هذه النقطة المظلمة في تاريخ الأحداث، أغلب الأحداث ليست مرفوضة أخلاقياً واجتماعياً فحسب بل حتى قانونياً، إذ يؤكد المشرع في هذا الصدد بأن من بين أهداف النظام الداخلي للمؤسسة التعليمية نجد إشاعة روح الإخاء والمحبة والتسامح والعمل الجماعي والتشارك بين التلاميذ والتلميذات [28].

فهذه الأشكال المتعددة من العنف والتعنيف التي تم الكشف عنها تفرض التساؤل عن ماهية دور جمعيات الآباء وأولياء الأمور من هذا السياق، بل ألا يمكن اعتبارهم مساهمين في ذلك عند لامبالاتهم بما يجري؟ بل الأكثر من ذلك هناك من يتهمهم بالمساهمة في الجنوح إذ يرى البعض بأن تفاقم مشكلة الجنوح تزداد بسبب انشغال الآباء والأمهات وانصرافهم عن توجيه الرعاية الأبوية والإشراف الأمني الدقيق على أبنائهم [29]. وهكذا يمكن الإشارة إلى أن نتائج الدراسة الميدانية لا تختلف مع ما جاء في الفرضية الفرعية الأولى.

المحور الثاني: تفسير ومناقشة الفرضية الفرعية الثانية هناك أمر أساسي يجب الانطلاق منه وهو أن مختلف أشكال العنف التي تعرض لها الأحداث بتلك الصورة البشعة، تجعل من البديهي أن ننظر إلى الأحداث ككائنات حية سلبت منها إرادتها وإنسانيتها عبر الإجراء الذي تعرضت له في المدرسة، فكان جواب الأحداث بإجراء لكن هذه المرة يعتبر مقننا ومضبوطا. فإذا كان الإجراء يختلف عن غيره من المهن والمهارات المشروعة، من حيث إن المجرم ينشأ منذ البداية في بيئة إجرامية فإن أبرز بيئة إجرامية في هذا الصدد ستكون هي المدرسة.

لأول مرة أو عند انتقاله إلى مدرسة جديدة، أنه منعزل وينظر إليه زملائه نظرة الدهشة والاستفسار، وتحيطه تلك النظرات حينما يتحرك، فيترتب عليها نظرات واستفهامات متبادلة تنتهي بمنازعات تأخذ شكل شجار أو تبادل لألفاظ نابية [25].

إن طغيان العنف الجسدي قد يكون أشد قسوة أيضا على حساب توازنه النفسي بل واندماجه التربوي والاجتماعي. ولعل هذا كان متميزا في آثار العنف الممارس على الحدث في المدرسة تتبدى من خلال تركها لمخلفات الكراهية، كراهية المواد المدرسية "قرآن، فرنسية"، ثم الكراهية والحقده على المدرس والمدرسة، فالانتقال المباشر إلى كراهية الإنسان.

وقد تتحول تلك الكراهية إلى عداوة يتجاوز الكتاب المدرسي إلى الأفراد عبر آلية دفاعية لاشعورية تسمى النقلة والتي تحدث عنها "دانيال لاغاش" إذ يقول: تعرف النقلة عادة بواسطة إعادة تصرفات انفعالية لا واعية، ودية، عدائيه أو متناقضة وجدانياً [26].

تفسير ومناقشة نتائج البحث الميداني

المحور الأول: تفسير ومناقشة نتائج الفرضية الفرعية الأولى تتحرك نتائج الفرضية الفرعية الأولى في مخاض عسير لم يعان من ثقله أحد غير الحدث وعلاقته بنفسه، وإنه لخطير من الأمر أن يسمع بأن الأحداث قد مروا جميعا بمناخ سيكولوجي مكهرب في المدرسة، وإنه لأخطر أن نسمع أيضا بأن اغلب الأحداث قد تعرضوا للعنف الجسدي بمختلف ألوانه خلال المرحلة الابتدائية، حيث لا يزال الطفل منذ نعومة أظفاره متأدياً على المستوى النفسي، وفي هذا الصدد تثار الدراسة الميدانية التي قام بها الدكتور أحمد بن دانية حول أثر معاملة المدرس لتلامذته على التحصيل الدراسي [27]. إذ يؤكد على أن أسلوب المعلم في المعاملة ينعكس بشكل مباشر على سلوك التلميذ عموماً وعلى تحصيله الدراسي خصوصاً، ولقد اهتم الباحثون منذ الأربعينات بهذه القضية. وقد أكدت دراسة "أندرسون" بالإضافة إلى دراسات أخرى الأثر الكبير لسلوك المعلم داخل الفصل على التلاميذ.

زمن بعيد، فإذا رجعنا إلى آراء ابن سحنون في التربية والتعليم نجده يركز على ضرورة العدل والمساواة بين الصبيان أثناء التعلم سواء أكانوا فقراء أم أغنياء، أذكفاء، أو بلداء....الخ [32].

وهكذا تكون أشكال العنف التي تعرض لها الأحداث الجانحون تجربة مؤلمة في تاريخهم النفسي، ولا يقل العنف النفسي أهمية عن العنف المادي /الجسدي، بل يختلف فقط من حيث الشكل، ومن حيث التجليات، فقد اتجه العدوان إلى الغير في مظاهر وأشكال عديدة تتراوح بين القوة والشدة والضعف، بل قد يكون العدوان مجرد نظرة تتجاوز حدودها وترمي إيذاء الغير وقد يكون على شكل سخرية أو تهكم على الغير [33]. وهذه الأمور لا يدركها إلا المختص، ولهذا ينبغي على المدرس كما أكدت "Lena Dominilli" أن يكون على دراية بالمفاهيم من هذا القبيل، إذ ترى ضرورة إدراك المربي للمفاهيم التي يتخذها علم الاجتماع كإطار له ومن بينها المكانة، القوة، الشرعية، المسؤولية، الحقوق، العلاقات، فهي مفاهيم أساسية بالإضافة إلى المفاهيم الدقيقة في علم النفس كالإدراك والانفعال، والشخصية، والتكيف، والسلوك في كل العمليات المتعلقة بصياغة المقاربة التربوية [34].

وإن هذا ليجعلنا نخلص بشكل أو بآخر إلى أن المدرسة في بعض الأحيان أصبحت لم تقم بدورها في المجتمع أكثر، كما أنها انحرفت عن المسار الذي كان ينبغي أن تمشي فيه، وهذا ما تؤكدته دراسة رشيدة برادة [35] حول المدرسة كما يراها المراهقون والشباب، إذ توصلت نتائج الدراسة إلى أن الشباب لا يرون أن المدرسة تصلح المجتمع، كما أنها انحرفت عن المسار الذي كان ينبغي أن تسير عليه، والدليل على ذلك هو أشكال العنف المادي والرمزي التي يشهدها الشارع أحيانا بين المدرسين والتلاميذ، بل إن قاعات الدرس توهل لكل أشكال التسرب المدرسي، والهدر، والغش، أي أنها أصبحت تنتج معاقين فكرياً، ومنحرفين سلوكياً، وأشخاصاً ملوثين لغوياً [35].

تحليل استشرافي

ونجد في هذا الصدد أن أغلب الأحداث يرون في إطار تقييمهم للتجربة الدراسية عدم الرضا عنها بل وجود تدمير نفسي ملحوظ ناجم عن التهميش، ووجود حسرة وندم عليها تصل إلى حد الكراهية، وحد العداء للمدرسة والمدرس، ويدل اعتبار التجربة الدراسية تجربة خاطئة واعتبارها الأسوأ في تاريخ أغلب الأحداث كما وتدل أيضاً على الإحباطات وعلى تراكمات نفسية خطيرة، جعلت من الأحداث قنابل نفسية محبطة، منتدرة، وموقوتة، بل دليل على أن الفرد في هذه الحالة قد تدهورت وجدانياته، وفسدت حياته بشكل عام، مما سيدخل الحدث في اكتئاب مرضي ما يفرض الحاجة إلى رعاية علاجية جدية نفسية وتأهيل في آن واحد [24].

ومن هنا نخلص جميعاً إلى أن الأحداث قد تأثروا تأثراً نفسياً عميقاً من خلال كل أشكال العنف التي مورست عليهم سواء أكانت الجسدية منها أم الرمزية، الأمر الذي يعني أن ما تم تسطيره من توقع مع بداية البحث قد تم بالفعل الوصول إليه. وبهذا المعنى تكون الفرضية الفرعية الثانية فرضية صادقة.

المحور الثالث: تفسير ومناقشة نتائج الفرضية العامة. يقتضي تناول الفرضية العامة لهذا البحث تقسيمها إلى ثلاثة محاور أساسية:

يشمل المحور الأول كل ما له علاقة بالمستوى السوسيو اقتصادي، أو المستوى التربوي لأسرة الحدث. وإن غياب أية مشاكل مطروحة ليجعل من أي تفسير يرجع بجنوح هؤلاء الأحداث إلى أسباب اجتماعية أو اقتصادية أو أسرية بشكل عام ضرباً من ضروب المغامرة، خصوصاً وأن المدرسة هي الأخرى نظام خاص من أنظمة التفاعل الاجتماعي، وهذه الحقيقة على جانب عظيم من الأهمية [31].

ويرتبط المحور الثاني بالحقائق المؤلمة التي سادت التجربة الدراسية للأحداث، حيث تعرضوا جميعهم للعنف الجسدي أو النفسي والذي يزداد خطورة مع أمرين. فأما الأول فيكون في حالة العنف غير المبرر، وأما الثاني فيكون في حالة التمييز العنصري والتفاضل بين الجنسين، وقد رفضت هذه الطريقة منذ

الذي يطرحه التفاوت الطبقي.

- سن قانون متشدد يعاقب على كل الخروقات وعلى كل أشكال الإرهاب النفسي والجسدي التي يعاني منها التلاميذ في المدرسة.

### المراجع

#### أ. المراجع العربية

[1] عبد العزيز عثمان التو يجري (1997)، "جنوح الأطفال القضية والحلول، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة/إيسيسكو. ص: 7.

[2] حجازي مصطفى (1995) "الأحداث الجانحون"، دار الفكر اللبناني بيروت، الطبعة الأولى. ص: 5.

[3] ربيع مبارك: 1991 "مخاوف الأطفال وعلاقتها بالوسط الاجتماعي"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط. ص: 295.

[4] المصطفى حدية (2005) "قضايا في علم النفس الاجتماعي"، منشورات المجلة العلمية لعلم النفس. مطبعة النجاح البيضاء. ص: 192-193.

[5] الشراي مصطفى عبد الرحمان (2002) "انحراف أحداث في التشريع المغربي والقانون المقارن، الطبعة الأولى ص: 136.

[8] الدكتور جميل إبراهيم (1981)، "نظرة نقدية للثقافة المدرسية من زاوية تكافؤ الفرص التعليمية"، مجلة الفكر العربي العدد 24، السنة الثالثة. ص: 60.

[11] ببير بورديو (1994)، "العنف الرمزي"، ترجمة نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء. ص: 7.

[12] ميلود التوري (2004)، " من درس الأهداف إلى درس الكفايات"، الطبعة الأولى، مطبعة أنفو برانت - البيضاء. ص: 49.

وهكذا وبالانتهاء إلى أن مشكلة العنف في المدرسة من الاضطرابات والأمراض السوسيوثقافية الخطيرة التي يعاني معها التلميذ الضحية وعائلته التي لم تكن تنتظر ابنها جانحا، وهي ليست ظاهرة في المجتمع المغربي فحسب وإنما تعاني منها قاطرة التطور الإنساني في مختلف المجالات.

إنها في تقدير المنظرين تعيق التطور المنشود وتفقد معناه خصوصاً وأنه في الوقت الذي ينتظر من المنظومة التربوية إنتاج طاقات، وكفاءات منتجة وفعالة ومندمجة عبر استراتيجية الاستثمار في البشر، تنتج لنا كائنات شاذة تضر بنفسها وبمن يحيط بها.

وعلاقة العنف في المدرسة بجنوح الأحداث لا تقف حدودها عند طبيعة العلاقة، أو عند موضوعية وجودها أو غيابها، ولكن تتعداها إلى أن العنف نفسه يعتبر عارا ترفضه كل الديانات، وكل المذاهب الفكرية، بل حتى الذي يمارسه قد يكون غير راض عليه ما لم يكن ذو شخصية مرضية. ويمكن هنا اقتراح بعض الأفكار التي إذا وجدت تربة خصبة يمكن نموها لتساهم في مشروع إجرائي للحد من ظاهرة العنف في المدرسة.

#### 6. التوصيات

بما أن هذا البحث استخلص أن الأحداث تعرضوا لأشكال مختلفة من العنف، وكانت مجموعة من الانعكاسات والآثار النفسية الناجمة عن تلك الأشكال مما جعل إثبات العلاقة الوطيدة بين العنف في المدرسة وجنوح الأحداث؛ فإنه يتعين على المشروع أن يأخذ بعين الاعتبار النقاط الآتية:

- القيام بحملات لدى الأسر لتوعيتهم بالسهر على مراقبة ومتابعة ما يقع لأبنائهم في المدرسة.

- إنشاء مراكز للإرشاد والتوجيه النفسي في كل المدارس بالمغرب ليس للتلميذ فقط

- انتقاء متخصصين أكفاء في السوسولوجيا والسيكولوجيا وحتى متخصصين في الدبلوماسية لاحتواء الصراعات المطروحة في العلاقات التربوية بالمدرسة.

- فرض لباس موحد على الجميع لكي يتجاوز العنف الرمزي

- [13] الدكتور حماني اقلي (ابريل 2009)، "العنف، مقاربات فلسفية" مجلة ويلي، العدد 14، منشورات المدرسة العليا للأساتذة، مطبعة مرجان مكناس. ص: 11.
- [14] عبد المجيد كاره مصطفى، (1992) "مقدمة في الانحراف الاجتماعي"، معهد الإنماء العربي، الطبعة 2، بيروت. ص: 283.
- [15] محمد الأزهر، (2000) "مبادئ في علم الإجرام"، الطبعة الرابعة، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء. ص: 51.
- [16] مصطفى حجازي، (2001) "التخلق الاجتماعي" مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب. ص: 186.
- [18] غريب عبد الكريم، (1997)، "منهج وتقنيات البحث العلمي"، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ص: 3.
- [19] العيسوي عبد الرحمان، (1982)، "علم النفس الإنتاج" دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص: 79.
- [20] الدكتور إبراهيم أبراش، (1994) "المنهج العلمي وتطبيقاته في العلم"، شركة بابل للطباعة والنشر - الرباط، ص: 275.
- [21] عبد الباقي داوود (1999) "المدرسة المغربية والمنتوج القيم الأخلاقي"، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء- المغرب. ص: 138.
- [22] د. محمد أيوب شحيمي (1999) "دور علم النفس في الحياة المدرسية"، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، ص: 181-182.
- [23] جماعة من الباحثين (2006) "قراءة تحليلية في الميثاق الوطني للتربية والتكوين"، منشورات عالم التربية، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، ص: 39.
- [24] مصطفى حجازي (2006)، "الإنسان المهودور": دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، الطبعة 2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص: 132.
- [25] د. مصطفى فهمي 1998: "سيكولوجية الطفولة والمراهقة، مكتبة مصر للطبوعات، الطبعة الأولى، ص: 136.
- [26] دانيال لاغاش' 1977 التحليل النفسي، ترجمة مترري شماس، مجلة ماذا أعرف، المنشورات العربية المطبعة البولسية - جونية ص: 95.
- [27] الدكتور احمد بن دانية (1995) "أثر معاملة المدرس لتلامذته على التحصيل الدراسي"، دراسة ميدانية، مجلة علوم التربية، العدد 9، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. ص: 53.
- [28] خالد المير، إدريس قاسمي، (2008)، "التشريع الإداري والتسيير التربوي"، مطبعة إمارسي، دار الاعتصام، البيضاء. ص: 506.
- [29] العيسوي عبد الرحمن (1984) "سيكولوجيا الانحراف والجنوح والجريمة" موسوعة كتب علم النفس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت. ص: 177.
- [30] عبد المجيد كاره مصطفى، (1992) "مقدمة في الانحراف الاجتماعي"، معهد الإنماء العربي، الطبعة الثانية، بيروت. ص: 289.
- [31] محمد بلكبير، (2000) "سيكولوجيا المدرسة"، مصوغة من طرف وزارة التربية الوطنية، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء. ص: 12.

- ب. المراجع الاجنبية
- [6] Emile Durkheim «Education et sociologie», Quadrige/Presses Universitaire de France. Librairie felexe, Alcan, Paris, 2ème édition page, 4, 1999.
- [7] IVAN ILLICH (1971) Une société sans école, Paris, Seuil.
- [9] Ali Boulahcen (2002), «Sociologie de l'éducation» les systèmes éducatifs en France et au Maroc, Etude comparative. Afrique Orient Maroc. P: 44.
- [10] Pierre Bourdieu, Jean – Calud Passeron (1970) «la reproduction», éditions de minuit, Paris 6. P: 19.
- [17] Samuel P. Himtington (2000), «Le choc des civilisations» Odile Jacob, Paris. p: 24.
- [32] مجلة علوم التربية (1995)، العدد الثامن، مطبع النجاح الجديدة، البيضاء. ص: 166.
- [33] أحمد أوزي (1994)، "المراهق والعلاقات المدرسية" ن منشورات مجلة علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. ص: 119.
- [34] مجلة علوم التربية (2003) المجلد الثالث، العدد 24، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء. ص: 105.
- [35] د. رشيدة براءة (2009) "المدرسة المغربية كما يراها المراهقون والشباب"، منشورات مجلة علوم التربية، العدد 16، مطبعة النجاح البيضاء. ص: 68.

# SCHOOL VIOLENCE AND ITS RELATION TO JUVENILE DELINQUENCY IN MOROCCO: FIELD WORK

Ahmed Maad

A Researcher in Doctoral center

Mohammed the Fifth University, Swissi  
the Faculty of Educational Science

*Abstract\_ This study aims to investigate the relationship between school violence and juvenile delinquency, taking a sample of inmates in a Moroccan center for child protection as a case study. This research employs a descriptive and analytical method in an attempt to describe and analyze the various aspects of school violence and its relationship with juvenile delinquency.*

*Twenty inmates in the center have participated in this study. Data has been collected through interviews, the collection of inmates' personal, familial and social detailed information as well as the successive examination of their files in the center.*

*The results have shown that there is a close relationship between school violence and juvenile delinquency. Most of the juvenile delinquents in the center were exposed at schools to physical or psychological violence. School violence, then, has left psychological, physical and mental negative effects on its victims.*

**Key words:** school violence, juvenile delinquents, delinquency, school.